جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية

Naif Arab University For Security Sciences

الأمن الوطني ودور وسائل الإعلام في ترسيخه

د. حمود بن عبدالعزيز البدر

٢٠٠٢م

الأمن الوطني ودور وسائل الإعلام في ترسيخه

د. حمود بن عبدالعزيز البدر

الأمن الوطني ودور وسائل الإعلام في ترسيخه

الأمن نعمة من نعم الله، وهو من الحاجات الأساسية للإنسان، فالخائف لا ينعم بالعيش، ولا يتمتع بصحته ولا يجني ثمار أمواله من المتعة والراحة.

والأمن أنواع كثيرة تتدرج في الأهمية طبقاً لإلحاحها بالنسبة للفرد أو المجتمع. فهناك الأمن على الحياة، وهناك الأمن على العقيدة، وهناك الأمن على المال، ثم هناك الأمن على الوطن، ثم هناك الأمن على الموروثات. ولا شك أن الأمن على العقل من أهمها، ولا يقل أهمية عن ذلك الأمن على الصحة، والأمن على العرض. ولقد من الله على البشرية بأن أعطاهم وعداً أن لا يغير أحوالهم إلا إذا انحرفوا عن الطريق السوي قال تعالى ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾** ﴾(الأنفال، ٥٣).

وفي سبيل امتنانه على قريش قال عنهم ﴿ **فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾** ﴾(قريش، ٣ـ ٤).

فالمرض والجوع يقوضان الأمن على الحياة، وكذلك تفعل الحوادث والاعتداءات. والخرافات والمذاهب المنحرفة، يقوضان الأمن على العقيدة أو يهددانها. وكذلك يفعل النفاق والسرقة، وقطع الطريق والنصب والاحتيال تقوض الأمن على المال. والغزو الثقافي والاستعمار يهددان أمن الموروثات. والخمور والمخدرات تهدد الأمن العقلي، بل إنها تقوض العقل. ولقد قال الله سبحانه على لسان إبراهيم الخليل أبي الأنبياء ﴿ **رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾** ﴾ (إبراهيم، ٣٥).

ففي هذه الدعوة الكريمة التي نادى بها الخليل عليه السلام طلب جامع من جميع أنواع الخوف.

ولقد قال المصطفى عليه الصلاة والسلام: (من أصبح آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده طعام يومه فكأنما حيزت له الدنيا) (الأدب المفرد، ٣٠٠).

إذن فنحن أمام حقيقة أزلية وضع الله نواميسها منذ بدء الخليقة. فإبليس لعنه الله حسد آدم لما سجدت له الملائكة فكاد له حتى أخرجه من الجنة، ثم طلب من ربه أن يعمر حتى يترصد بأبناء آدم إلى يوم القيامة. وقابيل قتل هابيل بسبب الحسد أيضاً لأن هابيل أطاع الله فقدم أطيب ما عنده، وقابيل قدم قرباناً من أخس ما عنده فرفض قربانه فانتقم حسداً من أخيه.

الأمن إذن معنى شامل لكل ما ينجم عنه إخافة الناس من أنفسهم وأبدانهم وأموالهم ودينهم وعقولهم واتجاهاتهم الفكرية وأعراضهم.

ولهذا فإن الإخلال بواحدة من هذه القيم يكون جريمة من قبل مقترفها بحق من وقع عليه الانحراف.

والجريمة ذات صلة وثيقة بالفكر لأنها نتاج فكر منحرف، والانحراف معاييره معروفة في الأديان كلها وإن اختلفت في التفاصيل، كما أن معاييره معروفة في بلدان العالم، وإن كانت تفصيلاتها متباينة طبقاً لكل دولة.

والفكر المنحرف لا يكون إلا نتيجة مرض نفسي اختلت فيه معايير السيطرة على النفس، فصارت ترى ما لا يراه الأكثرية، وتميل إلى ما يمجه المجتمع.

وقد يكون نتيجة حقد أو حسد حيث رأينا أن إبليس دخل النار وصار سيداً

لكل أهلها منذ بدء الخليفة، وحتى يوم القيامة نتيجة حسده لآدم عليه السلام.

وقد يكون الأخلال بالأمن نتيجة أطماع مالية رغبة في تحقيق ما لم يتحقق بالجهود المشروعة. وقد يكون نتيجة أطماع سياسية في الاستعمار أو التوسع، أو استعراض العظمة. وبالمقابل نجد أن الفكر المستقيم يؤدي إلى الإيمان بالله وبما شرعه فيكون بذلك الأمن النفسي: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ** ﴿٨٢﴾ ﴾ (الأنعام، ٨٢).

ويؤدي الفكر المستقيم إلى احترام النفس فلا ينحرف المرء فيما يؤدي إلى ذل أو تدنيس للذمة أو العرض، وذلك بالتالي يؤدي إلى كسب احترام الآخرين.

ويؤدي الفكر المستقيم إلى احترام الأنظمة والعمل على تطبيقها، ومن المسلم به أن صاحب الفكر المستقيم لا يكذب؛ لأن الصدق من الصفات الأساسية للاستقامة: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** ﴿٦﴾ ﴾ (الحجرات، ٦) لكن الصادق لا يغدر، والصادق لا يقتل، والصادق لا يسرق، والمتهور في الطريق لا يصدق لأنه لو صدق لما خالف الأنظمة لأن مخالفتها ينافي الفكر السليم. والمخادع لا يصدق، وهكذا.

وفوق ذلك كله يؤدي الفكر المستقيم إلى الإيمان بالله، وبما أنزله من شرائع، وما أمر به من أوامر، وما نهى عنه من نواه: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ** ﴿٨٢﴾ ﴾ (الأنعام، ٨٢).

إذن فإن الانحرافات الإنسانية لا تتم إلا بسبب التخلي عن الفطرة؛ لأن الفطرة تدعو إلى الاستقامة، والاستقامة هي أن يبتعد المرأ عن جميع ما يؤدي إلى الانحراف.

والانحراف أساسه شرارة صغيرة فقد قال الشاعر العربي من قبل :

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

فالاغتصاب بدايته نظرة .

والمخدرات بدايتها لفافة تبغ .

والخمر بدايته رغبة في التجربة .

والقتل بدايته شحناء أو رغبة في الانتقام ، أو رغبة في الإزاحة ، أو رغبة في السلطة ، أو رغبة في إظهار القدرة ، وهكذا .

والسرقة بدايتها لذات غير مبررة .

وإذا ما نظرنا إلى موازنات الدول وجدناها تصرف قسطاً كبيراً من موازنتها على الأمن (الجيش ، والشرطة ، وما يتبعهما) .

والأديان السماوية كلها تحث على الابتعاد عن مواطن الشبهات ، فلا يوجد دين سماوي يحل الخمر ، ولا يوجد دين سماوي يحل التصاق المرأة الأجنبية برجل أجنبي عنها ، ولا يوجد دين سماوي يحل دم الآخرين أو مالهم إلا ما حرفه الخارجون على الأديان .

والوقاية خير من العلاج ، ولعل كل واحد منا يذكر المثل الشائع : (درهم وقاية خير من قنطار علاج) . وأكبر دليل حسي هو ما نراه الآن من فعالية التطعيمات التي تعطى للطفل في مراحل مبكرة من عمره ؛ لوقايته من أوبئة اعتادت أن تفتك بالآلاف بل بالملايين من البشر .

وإذا ما نظرنا إلى تكلفة الجرعة نراها ضئيلة جداً مقارنة بما توفره للمجتمع من حماية ، وما تدفعه عن المجتمع من تكاليف علاج يتم الأخذ بها .

ولكن السؤال الذي يسأل دائماً هو : ما دام هناك من البديهيات أن المجرم أو المخالف لديه سبب يدفعه إلى ارتكاب المخالفة . ولكن بالمقابل هناك أسباب أخرى ضد ارتكاب المخالفة كان يمكن الأخذ بواحد منها لو تمت التوعية . فهل للتوعية هذا القدر من التأثير؟ .

إن الإنسان لا يخلق من العدم، ولا يستطيع أن يعيش منفرداً تحت شجرة أو صومعة، وإنما لابد له من انتماء بشري، وإنتماء عقدي، وانتماء بيتي وانتماء جغرافي .

فالانتماء البشري أساس لا بديل له، إذ هناك الأسرة المكونة من أب وأم يربط بينهما عقد بموجبه يصبحان أساساً لفروع جديدة .

والانتماء العقدي أن يعتنق عقيدة يؤمن بها، ويستنير بتعاليمها، ويستمد منها الراحة، ولقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام : «يولد المولود على الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه» (البخاري : رقم ٣٥٨) أي أن المرء لا يولد يهودياً مثلاً بالوراثة كما هو الأمر بلونه أو طوله، ولا يولد مسلماً وإنما يتم تعليم ذلك من أسرته .

وهناك الانتماء البيئي ؛ فالبيئة تؤثر في طبع الإنسان، وبقدر ما يعايش بيئته يألفها ويدافع عنها، ويشجع على ازدهارها .

وهناك الانتماء الجغرافي وهو الانتماء لمساحة من الأرض معروفة الابعاد والخصائص يعيش فيها المخلوق، فيألفها ويحبها ويدافع عنها .

وحيث لم يعد بالإمكان التنقل بحرية من بلد إلى الآخر مما تفصل الحدود بينهما، فإن الفرد لابد له من تحديد بقعة محددة ينتمي إليها وينميها : (إن كان مواطناً صالحاً) أو يخربها : (إن كان منحرفاً) .

فالله سبحانه يقول : ﴿ **مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ** ... ﴿٥٥﴾ ﴾ (طه، ٥٥) ولهذا فإن الإنسان السوي يهمه أن يعرف أين سيدفن بعد موته، وكيف سيعيش قبله، وهنا يأتي الإنتماء الوطني.

بلادي وإن جارت علي عزيزة وأهلي وأن ضنوا علي كرام

وهنا يأتي ترسيخ هذا المبدأ.

والوطن لا يتكون من سماء وأرض فقط، ولكن لابد له من مكونات أخرى؛ فالمثل الحجازي يقول: (جنة بدون ناس ما تنداس).

والمكونات الأخرى هي الأسرة والجيران والمرافق التي تخدم الجميع، وهذه المكونات لا تستطيع أن تسير امورها بكفاءة إلا إذا كان لها تنظيم يوضح معالم التصرف، فيحاسب على المخالفة، ويشجع على الانقياد لما تتطلب اتباعه الأنظمة والتعليمات.

والتنظيمات المدنية كلها أعطت للأسرة الدور الأكبر لاصلاح صغارها وتوجيههم الوجهة السليمة، ثم يأتي دور المدرسة لتؤدي الدور النمطي المطلوب لأبناء المجتمع، وهذا يمثل دور الوقاية من الانحراف.

فإذا ما حدث مخالفة لأنماط الأسرة أو المجتمع عندئذ يأتي دور المؤسسات الأخرى التي يقوم على عاتقها عملية العلاج، وهي سلطات الأمن، والسلطات القضائية، لأنها هي التي تأخذ بحق المظلوم وتردع الظالم؛ فمحاولة الأولى أن تمنع الانحراف، فإذا ما وقع ضبطته وحولته للثانية. ولابد لهذه وتلك من انظمة وقوانين تحدد مواقع الخطأ، وما يترتب على الوقوع فيها من عقاب.

وكلما اقتربت الانظمة والقوانين من عادات المجتمع وتقاليده، كلما

كانت عملية الخروج عليها أقل، وبالعكس تزداد المخالفات والجرائم كلما اتسعت الفجوة بين المتفق عليه اجتماعياً وما جرى سنه من أنظمة (محمود، ١١٢ ـ ١١٣).

وقد صور المصطفى عليه الصلاة والسلام عملية الضبط الاجتماعي بالسفينة التي يحتل طبقاتها جماعات مختلفة، حينما رأى من في اسفلها ان يخرق في اسفل السفينة فتحة يستقون الماء من خلالها، فإن لم يأخذ الآخرون على أيديهم هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعاً.

«مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة في البحر . . . الخ» (الالباني، حديث ١٧٦٥).

ولقد قال عليه الصلاة والسلام «لتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً» (الترمذي، الحديث رقم ٣١٤٣).

والأخذ علي يد الفئة المفرطة إجراء وقائي يلزم العمل به قبل وقوع الكارثة، لأن الكارثة إذا وقعت أصبحت المعالجة رد فعل مكلف ومزعج.

الأمن الوطني

الأمن في أبسط صوره ضد الخوف، ويمكن أن يعرف بأنه الحالة التي يكون فيها الإنسان محمياً ضد أي خطر يتهدده «أو هو» احساس يتملك الإنسان يجعله متحرراً من الخوف من أي خطر يتهدده.

وبالنسبة للوطن فإن الأمن يعرف بأنه: (الحالة التي تتوفر حينما لا يقع في البلاد أخلال بالنظام سواء كان ذلك جرائم يعاقب عليها النظام أو تأخذ صور نشاط يدعو إلى تدابير وقائية من أجل منع حدوثه أو منع انتشاره حتى لا يترجم نفسه إلى جريمة) (العريفي، ٣٦).

وما دام الأمن هو جنة الوطن والمواطن، والخوف نارهما فلابد من التعرف على مصادر الخوف من أجل تلافيها.

ويمكن تلافي الوقوع في المحذور إذا ما تيسر للمجتمع قيم متماسكة مجمع عليها وصار المجتمع عارفاً بها ومستعداً للدفاع عنها.

وتبدأ عملية الدفاع من الفرد لأن السلوك: خيره وشره لا يورث وإنما يكتسب، إذ يرى سذرلاند: أن السلوك غير موروث بل هو مكتسب يتعلمه الفرد من المحيطين به من خلال اختلاطه بهم وتفاعله معهم، وإن الإنسان يواجه في حياته مجموعات يمثل سلوك بعضها مخالفة لأنظمة المجتمع وقيمه، كما يواجه مجموعات أخرى تدافع عن تلك القيم وتردع من يخالفها؛ وبقدر تأثير إحدى المجموعتين على الفرد يتكون السلوك الفردي (مغازي، ١٨٦).

وهناك دوافع وحوافز تتعامل مع الانضباط في السلوك، وروادع يتعامل بها مع السلوك المنحرف.

فإن قدمت الانظمة والقوانين للفرد على انها سلوك حسن، وغلب ذلك على دوافعه صار منضبطاً مطيعاً.

وإن قدمت القوانين والأنظمة على انها سلوك غير مرغوب، وان مخالفتها هي المرغوبة وغلب ذلك على الفرد صار سلوكه منحرفاً.

إذ يصبح المرأ مجرماً أو منحرفاً عند رجحان كفة التعاريف التي تستحسن مخالفة القيم والأنظمة والقوانين (الكتاني، ٦٧).

فإذا كان الفرد يولد وصفحته بيضاء نقية من أي دوافع سلوكية غير الغريزية فإن على الأسرة أولاً أن تبدأ بزرع الفضيلة فيه؛ وتتمثل في تحببه

للخير، وتنفيره من الشر. ثم بعد ذلك يتم الربط بين قواعد السلوك الاجتماعي المرغوبة وبين الخير، كما يتم الربط بين قواعد السلوك غير المرغوبة والشر. وغني عن البيان أن في القمة من السلوك المرغوب العقيدة وما يؤدي إلى صيانتها من شرائع، وما يستتبع استكمالها من عبادات ومعاملات. ثم يأتي بعد ذلك الموروث من عادات وتقاليد حميدة مرغوب الاستمرار فيها، والتقيد بها، وهذه أيضاً لها مكانة عالية في المجتمع، ومن ثم لابد من أن يعرفها الأطفال والشباب.

الأنظمة والقوانين يأتي التدريب عليها من خلال تباين خطوطها العريضة مع ربط ذلك بالحياة الكريمة للطفل ومن حوله. ولأن الأسر لا تكون كلها في مستوى واحد من حيث الاطلاع والمعرفة، وليس من المتوقع تطابق الأسر في معارفها، فان المدرسة بوصفها مؤسسة اجتماعية يقع على عاتقها دور كبير في توحيد المعرفة ومحيطها بحيث يصبح الأفراد متقاربين في الأساسيات المعرفية اللازمة للعيش. لكن المدرسة الآن نازعها منازع، ودخل حلبتها منافس شديد مندفع، ذلك هو الإعلام ووسائل الاتصال الحديثة؛ ويقصد بها الصحف والمجلات، والراديو والتلفزيون والفيديو، والفاكس وشبكات المعلومات، التي لا تحدها حدود ولا يعيقها مراقب، ولا يرشدها مرشد.

وسائل الإعلام والجريمة

دخلت وسائل الاتصال الجماهيري حيز الوجود بدءاً بالصحف المطبوعة في القرن الخامس عشر، ثم تبعها الراديو، ثم التلفزيون. ثم توالت التطورات والتقنيات بحيث أصبحت هذه الوسائل من الكثرة والتعدد مما